أقسام الطب عند ابن سينا (٣٧٠-٤٢٨هـ/ ٩٨٠-١٠٣٧م)

الباحث/ عمران نادي علي أبو خنجر

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وال بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين .....

كانت الاندلس تمر بظروف سياسية متقلبة ، مستقره أحيانا ومتدهورة أحيانا أخر بسبب فتن داخلية،او بسبب المد المسيحي. وكانت الاندلس تتعرض لمجاعات متكرره بسبب الظروف الطبيعية والمناخية الصعبة، كالجفاف الذي كانت تتعرض له من حين لاخر ، وغارات الجراد التي كانت تأتي على الاخضر واليابس ، فنتج عن ذلك موت كثير، حتى كان يدفن في القبر الواحد عدد من الناس دون غسل ولاصلاة ، فترتب عن ذلك كله انتشار الامراض المتعددة والاوبئة بهذه المنطقة.

امام هذه الظروف الصعبة دعت الحاجة الى وضع حد لهذه الظروف الصعبة التي كانت تنعكس سلبا على الاوضاع الاقتصادية، ومن ثم على الواقع الاجتماعي والصحي لاهل الاندلس ، لم تكن السبب الوحيد في سوء الاحوال الصحية لهؤلاء، بل ان الرخاء الاقتصادي قد انعكس هو الاخر سلبا على الواقع الصحي لاهلها وبخاصة على الطبقة الغنية منهم ،لهذا دعت الحاجة الى الاهتمام بالحركة العلمية وبخاصة علم الطب، فنال في عهود الاندلس المختلفة ابتداءا من عصر الخلافة لبني امية والمرابطين والموحدين من الازدهار والتفوق حتى بلغ الذروة. ولحرصهم الشديد على المضي قدما بالحضارة الاسلامية بهذه المنطقة فان حركة الاسترداد المسيحي لم تستطع ان تقف كحجرة عثرة امام صمود هؤلاء على تحقيق هذا الدور الحضاري بالاندلس فشهدت هذه المنطقة في عهدهم ابرز الاطباء الصيادلة وان فضل بعضهم لازال باقيا لما كان لهم من تاثير على علم الطب وتطويره ليس في العصور الوسطى بل وحتى في العصر الحديث.

Andalusia was going through volatile political conditions, stable at times and deteriorating at other times due to internal strife, or because of the Christian tide. And Andalusia was subjected to frequent famines due to the difficult natural and climatic conditions, such as the drought that it was exposed to from time to time, and the locust raids that were coming on the green and the dry, resulting in a lot of death, until a number of people were buried in one grave without washing or praying. All of this is the spread of multiple diseases and epidemics in this region.

In the face of these difficult circumstances, the need arose to put an end to these difficult conditions, which were negatively reflected on the economic conditions, and then on the social and health reality of the people of Andalusia. It was not the only reason for the poor health conditions of these people, but the economic prosperity also had a negative impact on the reality. The health of its people, especially the rich class of them, for this reason, there was a need to pay attention to the scientific movement, especially the science of medicine, as it achieved in the various eras of Andalusia, starting from the era of the Umayyad caliphate, the Almoravids, and the Almohads, from prosperity and excellence until it reached its peak. And due to their keenness to advance the Islamic civilization in this region, the Christian recovery movement could not stand as a stumbling block in front of the steadfastness of these people to achieve this civilized role in Andalusia. During their reign, this region witnessed the most prominent physicians and pharmacists, and the virtue of some of them still remains because of their influence on the science and development of medicine. Not in the Middle Ages but even in modern times.

أولا : العلوم الطبية

مارس العرب مهنة الطب في عصر ما قبل الإسلام، وكانت علاجاتهم الطبية مزيج من التجارب الطبية والمعتقدات الدينية السائدة آنذاك، وما أن احتك العرب بالمصادر الواسعة التي تبحث في شتى العلوم والآداب والفنون، ومن بينها علم الطب حتى ظهر عدد غير قليل من العرب والمسلمين الذين انقطعوا لطلب العلم والمعرفة وصاروا الرواد الأوائل من حملة مشعل العلم الذي أضاء الطريق أمام الأجيال اللاحقة في خدمة الثقافة الإنسانية، فضلا عن إن حركة الترجمة كان لها أثر في تطور هذا العلم إذ تصدى بعض العلماء إلى ترجمة كتب الطب من اللغات الأجنبية، ولاسيما اليونانية، وكان الخلفاء والأمراء والميسورون يشجعون على الترجمة، أما لحاجتهم إلى المعلومات الطبية ، أو رغبة منهم في العلم ونشره، فضلا عن أن دور العلم والحكمة التي أنشأت في بغداد والموصل والقاهرة وتونس وغيرها لها أثر كبير في نشر العلوم والآداب، كما كانت دور للنسخ والبحث والتفسير والدراسة[١٢].

ولذلك انتشرت علوم الطب نتيجة الدراسات العلمية وتعرف العرب على كثير من المجهودات التي توصل إليها من سبقهم في هذا الموضوع، وقد برزت تلك العلوم بشكل واضح في العصر العباسي، إذ ظهر الأطباء الكبار الذين كانت لدراستهم وانجازاتهم العلمية الأثر الكبير في تطور الطب وازدهاره.

ومن الأطباء العرب المسلمين الذين أثروا على أوروبا علي بن العباس[١٣] المعروف عند اللاتين باسم (هالي أباس) صاحب كتاب كامل الصناعة الطبية الذي كان أول كتاب طبي عربي ترجم إلى اللاتينية باسم الكتاب الملكي، وترجمه (قسطنطين الأفريقي)[١٤] ولقي عناية فائقة، ودُرّس في أوروبا حتى أواسط القرن السادس عشر الميلادي، فكان المرجع الرئيس في علم التشريح في سالرنو في ايطاليا وغيرها للمدة من ١٠٧٠-١١٧٠م[١٥].

والرازي[١٦] الذي له مؤلفات كثيرة في علم الطب، منها: كتاب من لا يحضره الطبيب، كتاب المنصوري، وأشهر كتبه الحاوي[١٧] ، وله رسالة في الجدري والحصبة، ولكتاب الحاوي الذي جمع فيه جميع ما وجده للأقدمين والمتأخرين في الأمراض ومداواتها أهمية كبيرة في علم الأوبئة، وهو مفخرة من مفاخر التراث العربي، ويعتمد على هذا الكتاب أساتذة الطب في أوروبا في العصور الوسطى، ومن المهم أن نذكر إن مكتبة الكلية الطبية في باريس كانت تتكون من تسعة كتب رئيسة في العام ١٣٩٥م، كان

كتاب الحاوي للرازي أحدها، كما إن الملك لويس الحادي عشر أراد استنساخ هذا الكتاب فدفع مقابل ذلك مبلغ كبير من الذهب والفضة من أجل استعارته، وطبع مرات عديدة في أوروبا بترجمته اللاتينية[١٨] ، وترجم الكتاب على يد طبيب يهودي من صقلية يدعى فرج بن سالم ويعرف باسم (فراجوت) بأمر من شارل الأول، وانتهى من ترجمته عام ١٢٧٩م، إلا إنه لم ينشر إلا في عام ١٤٨٦م، وهناك ترجمة أخرى صدرت في البندقية عام ١٥٤٢م، أما كتابه المنصوري وهو أصغر من الحاوي فقد ترجم إلى اللاتينية، وصدرت أول طبعة في عام ١٤٨١م، كما ترجمت أعمال الرازي إلى العبرية والفرنسية، ومنها كتاب (اقرابازين)، وكتاب تقسيم العلل المعروف باسم كتاب التقسيم والتشجير، ورسالته في الفصد، ومقالة في الحصى في الكلى والمثانة، ومقالة في أمراض المفاصل، ومقالة في أمراض الأطفال، ولا يزال الغربيون ينظرون إلى الرازي بتقدير حتى أن جامعة برنستون الأمريكية أطلقت اسمه على أهم أجنحتها تقديرا لعلمه[١٩].

أما ابن سينا[٢٠] الذي عرف بلقب الشيخ الرئيس لمكانته العالية في الطب، وكذلك استحق لقب المعلم الثالث، فمن أهم كتبه في الطب كتاب القانون الذي يعد موسوعة طبية جيدة التنظيم، وبفضل هذا الكتاب حاز ابن سينا شهرة واسعة وانتشرت أبحاثه، حتى أن أوروبا كانت تنظر إلى هذا الكتاب بصفة القدسية، فضلا عن ذلك فالكتاب ظل معتمدا في أوروبا ستة قرون وترجمه الفرنج إلى لغاتهم، وأصبح مرجعا للدراسات الطبية، فكان يدرس في جامعتي مونبيليه في فرنسا، وجامعة لوفان في بلجيكا، وهي جامعة كاثوليكية تأسست في سنة ١٤٢٥م[٢١] ، وترجم كتاب القانون في القرن الثاني عشر إلى اللاتينية من قبل (جيرارد الكريموني)، وللتدليل على أهمية ابن سينا أن جامعة باريس تحتفظ حتى اليوم بصورتين كبيرتين في قاعتها الكبرى للرازي ولابن سينا[٢٢].

ومن الامور التى قاموا بها من اجل تحسين ورعاية مهنة الطب قيامهم بما ياتي:

اولا:أنشاء المؤسسات الاستشفائية:رافق الاهتمام بعلم الطب بالأندلس أنشاء بيمارستان لتكون مراكز لدراسة الطب الى جانب كونها مكانا لمعالجة المرضى مجانا،فضلا عن وجود أماكن اخرى كانت تؤدي المهمة نفسها ومن ابرز هذه المؤسسات:

١- **البيمارستانات:**ان هذه الكلمة فارسية الاصل وتتالف من (بيمار) ويقصد بها المريض او العليل او المصاب و(ستان)بمعنى مكان او دار، وبهذا يكون معنى

الكلمة موضع او مكان المرضى، أي المستشفى بلغة العصر الحديث[١] .اهتم بني امية في الاندلس بتاسيس البيمارستانات فيها وخاصة انهم كانوا حريصين على احياء صرح مجد دولتهم وحضارتهم بهذه المنطقة[٢] والدليل وجود البيمارستانات بالاندلس، هو بروز اطباء نالوا شهرة فائقة في علم الطب كالطبيب الجراح ابي القاسم خلف الزهراوي الذي ابدع في الجراحة لذلك فانه لايمكن ان يظهر مثل هذا الطبيب ويبدع في علم الطب دون ان يكون هنالك بيمارستان ليعينه على اجراء تجاربه الطبية[٣] . ويشير ابن بسام [٤] :" ان الامير ابا الحزم بن محمد بن جهور* مؤسس دولة بني جهور بقرطبة (٤٢٢-٤٣٥هـ/١٠٣١-١٠٤٣م) كان يزور المرضى ويتفقدهم"، وفي نظر الباحثه ان هذا الامير كان يقوم بذلك في البيمارستان ،اذ لايعقل وهو امير قرطبة ان يزور كل مريض في بيته.

٢- **المعسكرات والربط:** قامت كل من دولة المرابطين والموحدين على اساس الجهاد ،وحماية الاندلس من حركة الاسترداد المسيحي الذي استفحل امره بالاندلس خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي وما بعده ،فكانت كلتا الدولتين في مواجهة مستمرة مع المسيحيين، الامر الذي استدعى جيش كلتا الدولتين الى المرابطة[٥] لذلك كانت المعسكرات والربط الى جانب مهمتها الدفاعية يتم فيها العلاج، [٦] فقد كان الطبيب ابو اسحاق ابراهيم الداني يرافق الجيش الموحدي اثناء حروبه بالاندلس[٧] ، بل ان ابنه أبا عبد الله محمد قد نال حتفه في معركة العقاب ٦٠٩هـ/١٢١٢م*وهو يؤدي مهامه كطبيب لعلاج الجرحى من الجند [٨] .

٣- **العيادات:** قد خصص الاطباء الاندلسيين دورا خاصة لاستقبال المرضى والتي كانت تعرف باسم العيادات .ومن الملاحظ ان هذه التسمية مر ذكرها عند ابن جلجل فيذكر ان الطبيب ابا جعفر احمد بن ابراهيم بن ابي خالد احمد بن الجزار

---

(1)-أحمد:أحمد عبد الرزاق ، الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى،ط١، دار الفكر العربي،(القاهرة:١٩٩١م)،ص١٦٩.

(2)نور الدين:زرهوني، الطب والخدمات الطبية في الاندلس خلال القرن السادس الهجري – الثاني عشر الميلادي،مؤسسة شباب الجامعة،(الاسكندرية ٢٠٠٦م)، ص٩٢

(3)ابن ابي اصيبعة،عيون الانباء في طبقات الاطباء،ص٥٠١.

(4)ابو الحسن علي بن بسام الشنتريني ، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، تحقيق احسان عباس ،القسم الاول ،المجلد الثاني دار الثقافة،(بيروت: ١٩٧٨م)،ص٦٠٤،٦٠٢

(5)عبد الواحد المراكشي،المعجب في تلخيص اخبار المغرب ص١١٢

(6)ابن بسام ، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة،القسم الرابع ،المجلد الاول،ص١٧٨،١٦٦؛ نور الدين،الطب والخدمات الطبية في الاندلس،ص٩٦.

(7)ابن عذارى المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب ،ج٢،ص ٤٠١،علام : عبد الله علي،الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي دار المعارف،(مصر :١٩٧١م)،ص١٩٣.

*هي المعركة التي التقى فيها الجيش الموحدي بقيادة امير المسلمين ابو عبد الله بن يعقوب (٥٩٥-٦١٠هـ/١١٩٨-١٢١٣م) بالجيوش المسيحية بقيادة الفونسو الثامن ملك قشتالة بقرب حصن سالم بضواحي جيان، وتعتبر هذه المعركة المشؤومة نذير بذهاب ملك المسلمين في الاندلس.ينظر: عبد الواحد المراكش، المعجب في تلخيص اخبار المغرب ص٤٠٠-٤٠١.

(8)ابن ابي اصيبعة،عيون الانباء في طبقات الاطباء،ص٥٣٤.

القيرواني* (٢٨٥-٣٦٩هـ/٨٩٨-٩٨٠م) [١] .كان يستقبل المرضى في عيادته[٢]

كان العلاج في العيادات يختلف عما كانت عليه في البيمارستانات ،حيث كان يتم مقابل مبلغ مالي يقدمه المريض للطبيب وان العلاج فيها كان مزدهرا ومتطورا[٣] كما استعملت مصطلحات اخرى والتي تعبر عن نفس معنى العيادات منها الدكان او الحانوت او بيت الطبيب[٤]

حياة الشيخ الرئيس ابن سينا[٥] (٣٧٠- ٤٢٨هـ/ ٩٨٠- ١٠٣٧م)

أولًا : اسمه ومولده ونشأته:

الحسين بن عبد الله ابن سينا، أبو علي، أصله من بلخ، ومولده في إحدى قرى بخارى، التي نشأ وتعلم فيها.

تنقَّل أبو علي بعد ذلك في البلاد، واشتغل بالعلوم، وحصَّل الفنون، ولمَّا بلغ عشر سنين من عمره كان قد أتقن علم القرآن الكريم والأدب، وحفظ أشياء من أصول الدِّين، وحساب الهندسة والجبر والمقابلة، والمنطق والفقه، والنظر في النُّصوص والشُّروح، حتى فتح الله عليه أبواب العلوم.

ثم رغب بعد ذلك في علم الطِّب حتى فاق فيه الأوائل والأواخر في أقل مدة، ولم يستكمل ثماني عشرة سنةً من عمره، إلَّا وقد فرغ من تحصيل العلوم التي عاناها بأسرها، ووقف عليها بحسب الإمكان الإنساني[٦].

ثانيًا : حياته العلمية وأهم مؤلفاته:

بعد أن فرغ ابن سينا من طلب العلم عمد إلى التأليف، وكانت أُولى تلك المؤلفات كتاب المجموع[٧]، ثم تتابعت مؤلفاته ورسائله، وكان من أشهرها وأهمها كتاب "القانون" في الطب[٨]،وغير ذلك كثير بين

---

(1)ابن ابي اصيبعة،عيون الانباء في طبقات الاطباء،ص٤٨١-٤٨٢.

(2)ابن جلجل:ابي داود سليمان بن حسان الاندلسي، طبقات الاطباء والحكماء،تحقيق فؤاد سيد ،مطبعة دار الكتب والوثائق القومية،(القاهرة:٢٠٠٥م)، ص٩٨

(3)ابن بسام،الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة،القسم الرابع ،المجلد الاول،ص٩٠٥؛ نور الدين،الطب والخدمات الطبية في الاندلس ، ص٩٧

(4)- نور الدين،الطب والخدمات الطبية في الاندلس ، ص٩٧.

(*) الشيخ، الرئيس، الرئيس الشيخ، ابن سينا، قدوة العلماء المحققين، الحكيم (...)، كلها صفات لُقب بها؛ لاشتهار سيرته، وسمو منزلته في العلم، ورئاسته لأهل الفكر. آل ياسين، جعفر، **فيلسوف عالم** دراسة تحليلية لحياة ابن سينا وفكره الفلسفي، ط١ (بيروت: دار الأندلس، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ص٢٤-٢٦.

(٥) القفطي (ت ٦٤٦هـ)، علي بن يوسف، **أخبار العلماء بأخبار الحكماء** (القاهرة: مكتبة المتنبي، [د.ت])، ص٢٦٨-٢٧٨؛ ابن خلكان (ت ٦٨١هـ)، أحمد بن محمد، **وفيات الأعيان** وأنباء أبناء الزمان (بيروت: دار صادر، [د.ت])، ج٢، ص١٥٧-١٦١.

(7) القفطي، **أخبار العلماء بأخبار الحكماء**، ص٢٧١.

(8) الزركلي (ت١٣٩٦هـ)، خير الدين، **الأعلام**، ط١٥ (بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م)، ج٢، ص٢٤١-٢٤٢.

مصنَّف ورسالة، في فنون شتى[1]، فكان نادرة عصره في علمه وذكائه وتصانيفه[2].

ثالثًا : وفاته:

أُصيب أبو علي بالقولنج، ثم تبعه مرض الصَّرع، فكان يسرف في مداواة نفسه، حتى وصل به المطاف إلى همذان[3]، وعلم أنَّ قوَّته قد سقطت، وأنَّها لا تفي بدفع المرض، فأهمل مداواة نفسه، وبقي على هذا أيامًا ثم انتقل إلى جوار ربه، وكان عمره ثمان وخمسين سنة[4].

الطب عند ابن سينا :

يقول ابن سينا: إِن الطِّبّ علم يتعرف مِنْهُ أَحْوَال بدن الْإِنْسَان من جِهَة مَا يَصح وَيَزُول عَن الصِّحَّة ليحفظ الصِّحَّة حَاصِلَة ويستردها زائلة. وَلقَائِل أَن يَقُول إِن الطِّبّ يَنْقَسِم إِلَى نظر وَعمل وَأَنْتُم قد جعلتم كُله نظرا إِذْ قُلْتُمْ إِنّه علم وَحِينَئِذٍ نجيبه ونقول إِنّه يُقَال إِن من الصناعات مَا هُوَ نَظَرِي وعملي وَمن الْحِكْمَة مَا هُوَ نَظَرِي وعملي وَيُقَال إِن من الطِّبّ مَا هُوَ نَظَرِي وعملي. وَيكون المُرَاد فِي كل قسْمَة بِلَفْظ النظري والعملي شَيْئا آخر وَلَا نحتاج الْآن إِلَى بَيَان اخْتِلَاف المُرَاد فِي ذَلِك إِلَّا فِي الطِّبّ فَإِذا قيل إِن من الطِّبّ مَا هُوَ نطري وَمِنْه مَا هُوَ عَمَلِي فَلَا يجب أَن يظنّ أَن مُرَادهم فِيهِ هُوَ أَن أحد قسمي الطِّبّ مَا هُوَ نَظَرِي وَمِنْه مَا هُوَ عَمَلِي فَلَا يجب للْعَمَل كَمَا يذهب إِلَيْهِ وهم كثير من الباحثين عَن هَذَا الْموضع بل يحق عَلَيْك أَن تعلم أَن أصُول الطِّبّ وَالْآخر علم كَيْفِيَّة مُبَاشَرَته ثمَّ يخص الأول مِنْهُمَا باسم الْعلم أَو باسم النّظر ويخص الآخر باسم الْعَمَل فنعني بِالنّظرِ مِنْهُ مَا يكون التَّعْلِيم فِيهِ مُقَيّد الِاعْتِقَاد فَقَط من غير أَن يتَعَرَّض لبَيَان كَيْفِيَّة عمل مثل مَا يُقَال فِي الطِّبّ: إِن أَصْنَاف الحميات ثَلَاثَة وان الأمزجة تسْعَة ونعني بِالْعَمَلِ مِنْهُ لَا الْعَمَل بِالْفِعْلِ وَلَا مزاولة الحركات الْبَدَنِيَّة بل الْقسم من علم الطِّبّ الَّذِي يُفِيد التَّعْلِيم فِيهِ رَأيا ذَلِك الرَّأْي مُتَعَلق ببَيَان كَيْفِيَّة عمل مثل مَا يُقَال فِي الطِّبّ إِن الأورام الحارة يجب أَن يقرب إِلَيْهَا فِي الِابْتِدَاء مَا يردع ويبرد ويكشف ثمَّ من بعد ذَلِك تمزج الرادعات بالمرخيات ثمَّ

---

(1) قنواتي، الأب جورج شحاته، **مؤلفات ابن سينا**، جامعة الدول العربية- الإدارة الثقافية (القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٠م)، ص ١٩- ٧٩؛ كحالة، عمر رضا، **معجم المؤلفين** تراجم مصنفي الكتب العربية (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م)، ج١، ص٦١٨-٦٢٠.

(2) ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٢، ص٢٥٩.

(3) وذكر ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) أن ابن سينا توفي بأصبهان، وهذا خلاف المشهور. **الكامل في التاريخ**، تحقيق : عبد الله القاضي، ط٢(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ)، ج٨، ص٢٢٥.

(4) الشهرزوري (توفي أواخر القرن السابع الهجري)، شمس الدين، **تاريخ الحكماء** "نزهة الأرواح وروضة الأفراح"، تحقيق: عبد الكريم أبو شويرب ([د.م]: جمعية الدعوة الإسلامية الالمية، [د.ت])، ص٣٧٤-٣٧٥؛ وقد شذ ابن أبي أصيبعة فذكر أن عمره ثلاث وخمسون حين وافته المنية، فجعل تاريخ ميلاده /٣٧٥هـ/. **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** (بيروت: دار مكتبة الحياة، [د.ت])، ج١، ص٤٤٥.

بعد الِانْتِهَاء إِلَى الانحطاط يقْتَصر على المرخيات المحللة إِلَّا فِي أورام تكون عَن مواد تدفعها الْأَعْضَاء الرئيسة فَهَذَا التّعْلِيم يفيدك رَأيا: هُوَ بَيَان كَيْفِيَّة عمل فَإِذا عملت هذَيْن الْقسمَيْنِ فقد حصل لَك علم علمي وَعلم عَمَلي وَإِن لم تعْمل قطّ"[1]

لفصل الثاني: في موضوعات الطب لما كان الطب ينظر في بدن الإنسان من جهة ما يصح ويزول عن الصحة والعلم بكل شيء إنما يحصل ويتم إذا كان له أسباب يعلم أسبابه فيجب أن يعرف في الطب أسباب الصحة والمرض والصحة والمرض وأسبابهما قد يكونان ظاهرين وقد يكونان خفيين لا ينالان بالحس بل بالاستدلال من العوارض فيجب أيضا أن تعرف في الطب العوارض التي تعرض في الصحة والمرض وقد تبين في العلوم الحقيقية أن العلم بالشيء إنما يحصل من جهة العلم بأسبابه ومباديه إن كانت له وإن لم تكن فإنما يتم من جهة العلم بعوارضه ولوازمه الذاتية. لكن الأسباب أربعة أصناف: مادية وفاعلية وصورية وتمامية. والأسباب المادية: هي الأشياء الموضوعة التي فيها تتقوم الصحة والمرض. أما الموضوع الأقرب فعضو أو روح وأما الموضوع الأبعد فهي الأخلاط وأبعد منه هو الأركان. وهذان موضوعان بحسب التركيب وإن كان أيضا مع الاستحالة وكل ما وضع كذلك فإنه يساق في تركيبه واستحالته إلى وحدة ما وتلك الوحدة في هذا الموضع التي تلحق تلك الكثرة: إما مزاج وإما هيئة[2]

(1) ابن سينا : في الطب ص ١٣

(2)ابن سينا : في الطب ص ١٣

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي[١]

قال الفقيه الأجل الأمجد، القاضي الإمام الأوحد، أبو الوليد محمد بن أحمد ابن رشد، أدام الله تعالى علاه، ووصل نعماه: أما بعد حمد الله المنعم بحياة النفوس، وصحة الأجسام، والشافي من الأدواء المعضلة والأسقام، بما ركب في البشر من القوى الحافظة للصحة والبريئة[٢] من الآلام وفهم من صناعة الطب وحيلة البرء من كان من ذوي الألباب والأفهام، والصلاة على سيدنا محمد خاتم الرسل وسيد الأنام. والرضا عن الإمام المعصوم، المهدي[٣] العلوم، محي الدين، ومجدد رسوم الإسلام، وعن صاحبه وخليفته أمير المؤمنين ممشى أمره إلى غاية الكمال والتمام[٤] والدعاء لسيدنا أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين المستصحب على الاتصال والدوام، فإنه ذكرت بالمجلس العالي، مجلس السيد الأجل المعظم الموقر (٢/أ) [٥] أبي الربيع بن الرشيد الأجل الأعلى ، الأسمى أبي[٦] محمد بن سيدنا الإمام الخليفة الأعظم أمير المؤمنين أيدهم الله ونصرهم الأرجوزة المنسوبة إلى ابن سينا في الطب ، وأنها محيطة بجميع كلياته ، وأنها الأفضل من كثير من المداخل التي وُضعت في الطب، مع ما اختصت به من النَّظْم الميسر للحفظ ، والمنشط للنفس ، فأمروا أدام الله تأييدهم ، لما جبلوا عليه من الرغبة في العلم ، وخُصُّوا به من إيثار الناس بالخير ، أن تشرح ألفاظها شرحًا يبلغ به الغرض المقصود منها ، مع ترك التطويل والإكثار[٧]، إذ كان التعبير عن المعاني العلمية بالأقاويل الموزونة[٨] ، ربما أوجب حذفًا للمعنى ، وغواصة لفهمه ، فبودر إلى امتثال رأيهم العالي ، وشرع فيه : والله يتمم من ذلك مقصدهم الشريف[٩] الرفيع ، ويوفق الكل لما يحب من طاعتهم وخدمتهم ، ويقع بوفقهم ، بفضله ورحمته . **ذكر تفسير الطب** (٢/ب) [١٠]

الطِّبُ حِفْظُ [١١]بُرْءُ مَرَضْ * مِنْ سَبَبٍ فِي بَدَنٍ مُنْذُ عَرَضْ**

قوله: الطب حفظ صحة، برء مرض، هو حد الطب، وتمامه أن يقال: الطب هو صناعةٌ فِعلها عن العلم والتجربة حفظ الصحة، وإبراء المرض.

---

(١)وبه ثقتي حذفت من النسخة (ب).
(٢) ب – المبرية والصواب ما أثبتناه في الأصل.
(٣) ب – المبدي
(٤) ب– غاية التمام والكمال .
(٥) نهاية اللوحة (٢/أ).
(٦) ب– أبو محمد .
(٧) ب – الإكثار والتطويل .
(٨)ب – المروية .
(٩) ب – وعن ضمهم الفاضل .
(١٠)نهاية اللوحة (٢/ ب) .
(١١) ب– صحة وهو الصواب .

وقوله: مِنْ سَبَبٍ فِي بَدَنٍ مُنْذُ عَرَضْ، يريد أن الطب فعله حفظ الصحة، وإزالة المرض الذي حدث في البدن من سبب منذ عرض له السبب. مثال ذلك أن الورم إنما يعرض[١]لعضو من الأعضاء، من سبب وهو انصباب الدم إلى ذلك العضو، وذلك في الوقت الذي ينصب الدم إليه.

وفي بعض النسخ: من سبب في بدن عنه عرض، وهو أحسن، أي المرض عرض في البدن عن السبب. ويحتمل أن يكون ومن عرض أي أن الطب يبرئ من المرض الذي يتقوّم[٢] من سببٍ في الأبدان [ومن عرض، وذلك أن الأمور الخارجة عن الطبع في الأبدان] [٣] هي ثلاثة: الأمراض، والأسباب، والأعراض. على ما سيأتي [ذكره] [٤] بعد. وإنما قلنا في الحد عن العلم (٣/أ) [٥]والتجربة لأنه ليس يكتفي في هذه الصناعة بالعلم دون التجربة ، ولا بالتجربة دون العلم[٦] بأنها معرفة الأشياء المنسوبة المتصلة بالصحة والمرض ، وبالحال التي لم يخلص فيها للإنسان منها صحة ولا مرض .يريد أن هذه الصناعة هي التي تعرف [٧]الأشياء المنسوبة إلى الصحة المتصلة بها ،والأشياء المنسوبة إلى المرض ، وإلى الحال المتوسطة بين الصحة والمرض ، ويعني بالأشياء المنسوبة إلى الصحة أسبابها ، وعلاماتها ، وكذلك يعني بالأشياء المنسوبة إلى المرض ، وإلى الحال المتوسطة ، وقد يظهر أنه نقص من هذا الحد الفصل الذي تفترق به هذه الصناعة من جزء الصناعة الطبيعية الناظرة في الصحة والمرض ،فإن صناعة الطب إنما تعلم الصحة والمرض وأسبابها وعلاماتها ،لتحفظ الصحة ، وتزيل المرض ، ولذلك يبلغ من معرفة الصحة والمرض إلى القدر النافع في العمل . وأما [صاحب] [٨] العلم الطبيعي فإنما قصده (٣/ب) [٩] من معرفة الصحة والمرض المعرفة فقط ، ولذلك يجب على صاحب العلم الطبيعي أن يبلغ من معرفتهما ، أعني الصحة والمرض [فقط][١٠] أقصى ما في طباعهما أن يبلغه الإنسان من ذلك ، وكذلك الحال المتوسطة التي جعلها جالينوس بين الصحة والمرض ليست حالا متوسطة بالحقيقة فإن الحال

---

(1) ب– عرض

(2) ب– يتقدم

(3) ما بين المعقوفتين سقطت من النسخة ب .

(4) ما بين المعقوفتين سقطت من النسخة ب . زاد في النسخة ب.

(5) نهاية اللوحة (٣/ أ) .

(6) زاد في النسخة ب ،[بل بهما معًا . وحد جالينوس هذه الصناعة] وهو الصواب.

(7) زاد في (ب) بها .

8(8)ما بين المعقوفتين سقطت من ب .

(9) نهاية اللوحة (٣/ب).

(10) ما بين المعقوفتين سقطت من النسخة ب .

المتوسطة يطلقها جالينوس على ثلاثة معان : أحدها على الناقهين وما أشبههم ، والثاني على من به مرض في بعض أعضائه ، والثالث على من يوجد مريضا في بعض الأزمنة وصحيحا في بعضها.

وإذا كان حد المريض[١]: أنه الحالة التي يكون عنها ضررٌ[٢] الفعل ، فليس بين الضرر ولا ضرر متوسط ، والضرر الضعيف هو داخل في جنس المرض كما أن الفعل الطبيعي الضعيف هو داخل في الصحة ، إذ كان حد الصحة أنها الحال التي تكون عنها استقامة الأفعال .

والقول في هذه الأشياء يستدعي بيانا أكثر من هذا، ولكن القصد[٣] في(٤/أ) [٤] هذا القول إنما هو الإيجاز[٥].

قِسْمَتُهُ الْأُوْلَى لِعِلْمٍ وَعَمَلْ * والْعِلمُ فِي ثَلاثَة قَدْ اكْتَمَلْ**

يريد أن الطب ينقسم أولا إلى قسمين عظيمين: أحدهما[٦] علمًا، والآخر عملًا.

وقوله: العلم في ثلاثة قد اكتمل أي أن الجزء منه الذي هو العلم يحصل كاملًا في ثلاثة أجزاء يذكرها هو بعد، وهذه القسمة ليست بقسمة حقيقية لصناعة الطب، لأن جالينوس قد قال في حده: إنه معرفة الصحة والمرض والأشياء المنسوبة إليها، وإلى الحالة التي ليست بصحة ولا مرض.

وإذا كان ذلك كذلك فأقسامه إنما هي علوم، لا علوم وعمل.

وذلك أن الصانع التي يقال فيها إنها عملية، منها ما يقال ذلك فيها لأنها تتعلم بالعمل، مثل[صناعة] [٧] النجار والخياط[٨]، ومنها ما يقال لها عملية، وهي إنما تتعلم بالعلم أعني بالبراهين والحدود، ولكن غاية العلم فيها إنما هو العمل، وهذه [هي] [٩] حالة صناعة الطب. وليس يبعد (٤/ب) [١٠] أن يكون من الصانع ما يتعلق بالوجهين جميعًا بالعلم والعمل ،إن سلمنا أنها صناعة واحدة ، وقد يظن بصناعة الطب أنها بهذه الصنعة وذلك أن الجزء الذي يعمل باليدين إنما يتعلم بالعمل والمحاذاة أكثر من ذلك.

---

(١) ب – المرض .
(٢) ب– ضرار.
(٣) ب – الفصل .
(٤) نهاية اللوحة (٤/أ).
(٥) ب – للإيجاز .
(٦) زاد في النسخة ب يسمى .
(٧)ما بين المعقوفتين سقطت من النسخة ب .
(٨) ب – النجارة والخياطة .
(٩) ما بين المعقوفتين سقطت من ب .
(١٠) نهاية اللوحة (٤/ب) .

ووجه العذر عن هذه القسمة أنه لما كان العلم ينقسم في صناعة الطب إلى علمين: علم يشارك فيه صاحب العلم الطبيعي، أعني [أنه] [1] ينظر فيه العلمان جميعًا، وهو العلم الذي ينظر في الصحة وأسبابها وعلاماتها، وفي المرض وأسبابُه وعلاماتُه، والعلم الثاني تختص به صناعة الطب وهو النظر كيف تحفظ الصحة، وبأي شرط [2] تحفظ، وكيف يزال المرض، وبأي شيء يزال، فسمي الجزء من العلم الذي يشارك فيه العلم الطبيعي علميًا، وأعني بالعلمي ما الغاية المقصودة منه العلم فقط، لا العمل. وسمي الجزء الآخر الذي تنفرد بالنظر فيه صناعة الطب عمليًا. إذ كان قريبًا (٥/ أ) [3] من العمل ، وخاصًا به ، وكثيرًا ما يجود فعله بالاحتذاء أعني بالعمل ، ولذلك كان من شرط الطبيب أن يكون مع قيامه على علم الطب [مزاولًا لأعماله] [4] .

وأما العمل باليد فهو كما قلنا عملي محص[5] ، وليس يتعلم بالقول منه إلا جزء يسير ، وكذلك يشبه أن يكون التشريح أعني أنه لا يتصور منه القول إلا يسير . وأول من قسم العلم الطبيعي بهذه القسمة حنين المتطبب ، وقد رد عليه ابن رضوان ذلك ، وزعم أن أصول جالينوس تقتضي أن هذه القسمة باطلة ، وانتصر له أبو العلاء بن زهير وزعم أنه تلقى هذه القسمة في بعض الكتب المنسوبة لجالينوس ، والحق في ذلك[6] ما قلناه .

سَبْعُ طَبِيعيّات مِنَ الأُمُورِ * وَسِتَّةٌ وَكُلُّهَا ضَرُورِي**

لما ذكر أن الجزء الذي يسمى بالعملي ينحصر في ثلاثة أقسام ، ابتدأ بالقسم الأول فقال : سبع طبقات من الأمور [يريد والقسم] [7] الأول من الجزء العلمي ينقسم إلى النظر (٥ /ب) [8] في سبعو أشياء طبيعية ، وهذه السبعة في الغالب أسباب الصحة الموجودة في الأبدان .

ثم قال : وستة وكلها ضروري ، يريد والقسم الثاني من الجزء العلمي ينقسم إلى معرفة ستة أشياء طبيعية [9]، أي[10] يكمل الوجود الطبيعي للإنسان إلا بها ، وهذه إما أمور من خارج ، وإما أمور إدارية ، إما أحوال نفسانية ضرورية تلحق البدن .

---

(1) ما بين المعقوفتين سقطت من ب .
(2) ب – شيء .
(3) نهاية اللوحة (٥/أ).
(4) ما بين المعقوفتين سقطت من ب .
(5) ب – عمليون محط .
(6) زاد بعدها – هو .
(7) ما بين المعقوفتين سقطت من النسخة ب.
(8) نهاية اللوحة (٥/ب).
(9) ب – ضرورية.
(10) زاد بعدها في النسخة (ب) ليس.

[أقسام علم الطب] [1]

ثُمَّ ثَلاثٌ سُطِّرتْ فِي الْكُتُبِ *** مِنْ عَرَضٍ وَمَرَضٍ وَسَبَب

يقول : والقسم[2] من الأقسام العلمية ينقسم إلى ثلاثة أقسام : إلى معرفة المرض ، ومعرفة العرض، ومعرفة السبب، وذلك أن الذي يقصد الطبيب بالإبراء هو هذه الثلاثة ، فكأنه قال : العلم بالطب ينقسم إلى النظر في الصحة ، وإلى النظر في المرض ، والنظر في الصحة ينقسم إلى النظر في السبعة الأمور الطبيعة ، ثم في السنة الضرورية ، والنظر في المرض ينقسم إلى (٦/أ) [3] ثلاثة : إلى معرفة المرض ، وإلى معرفة السبب، وإلى معرفة الشيء الذي يسمى في هذه الصناعة العرض ، وسنشرح معناه[4].

[القسم العملي من الطب] [5]

وَعَمَلُ الطِّبيبُ عَلَى ضَرْبَينِ *** فَوَاحِدٌ يَعْمَلُ بِالْيَدَينِ

وَغَيْرُهُ يعْمَلُ بِالدَّواءِ *** وَمَا يُقدِّر مِنَ الْغِذَاءِ

لما[6] قسم الطب إلى قسمين : إلى علم [7]وعمل ، وقسَّم العلم إلى ستة عشر ، إلى ثلاثة عشر من الأمور الطبيعية ، وإلى ثلاثة من الأمور العرضية ، قسم الجزاء[8] العلمي إلى قسمين : أحدهما ما يعمل باليد ، مثل الخياطة والجراح [9]، وقدح الماء النازل في العين ، وغير ذلك .

والثاني إلى ما يعالج به من الأدوية ، وإلى ما تحفظ[10] به الصحة من الأغذية ، وهذا الصنف يتضمن معرفة طبائع الأدوية ، وكيف وجه العلاج بها ، ومعرفة طبائع الأغذية ، وكيف وجه [حفظ] [11] الصحة بها .

وأفضل من هذه القسمة أن يقول: الطب ينقسم إلى ستة أقسام : إلى معرفة طبيعة الصحة ، وإلى معرفة علامات الصحة ، وإلى معرفة[12] طبيعة الأمراض، وإلى معرفة علامات الأمراض،

---

(1) ما بين المعقوفتين سقطت من ب

(2) زاد بعدها الثالث.

(3) نهاية اللوحة (٦ / أ).

(4) زاد بعدها فقال.

(5) ما بين المعقوفتين سقطت من النسخة ب.

(6) ب – أما .

(7) زاد بعدها في النسخة ب إلى .

(8) ب – الجزء .

(9) ب – خياطة الجراح .

(10) ب – يحفظ .

(11) ما بين المعقوفتين سقطت من ب .

(12) زاد بعدها في النسخة (ب) معرفة حفظ الصحة .

وإلى(٦ /ب) [١] معرفة إزالة الأمراض ، وإلى معرفة حفظ الصحة .

ذِكْرُ الأُمُور الطَّبيعيَّة

أَوّلًا : فِي الأَرْكَان

٧ ـــ أَمَّا الطَّبِيعِيَّاتُ فَالأَرْكَانُ *** تَقُومُ مِنْ مَزَاجُهَا الْأَبْدَانُ

قوله أما الطبيعيات فالأركان يريد أن أول السبع من الأمور التي سميناها طبيعيات فهي معرفة الأجسام التي تقوم من مزاجها الأبدان ، وهذه الأجسام تسمى أسطقسات ، وأركانا وعناصر .

وحد الأسطقس : أنه أبسط جسم يوجد في المركب ، أعني الذي يتركب منه الشيء ، ولا يتركب هو من غيره .

وقد يحد أيضا بأنه الذي ينحل إليه المركب إذا فسد ، ولا ينحل هو إلى غيره .

وإنما قال : تقوم من مزاجها الأبدان ، لأن رأي أبقراط وجالينوس أن أبدان الناس إنما تتركب من الأسطقسات الأربعة ، التي هي الماء ، والهواء ، والنار[٢]، والأرض ، على جهة المزاج ، كما يتركب السكنجبين (٧ /أ) [٣] من الخل والعسل .

والقدماء كانوا يختلفون في هذا المعنى اختلافا كثيرا ، أعني في عدد الأسطقسات التي تركبت منها أبدان الناس ، وفي طبيعتها ، فمنهم من كان يجعلها الأجسام الأربعة كما قلنا ، ومنهم من كان يجعلها اثنين منها أو واحد ، ومنهم من كان يجعلها أجساما غير منقسمة إلا أنها من طبيعة واحدة ، ويرون أن هذه الأجسام منها تتولد[٤] الأربعة الأسطقسات وسائر الموجودات .

٨ ـــ وَقَولُ بُقْراطَ بِهَا صَحِيحُ *** مَاءٌ، وَنَارٌ ، وَثَرى وَرِيحُ

يقول : إن [قول] [٥] بقراط في أن عدد هذه الأركان أربعة ، وأنها النار والماء والهواء[٦] والأرض قول صحيح.

٩ ـــ دَلِيلُهُ فِي ذَا بِأَنَّ الْجِسْمَا *** إِذَا تَوَى عَادَ إِلَيْهَا رَغْمَا

يقول : ودليل بقراط على أن أجسام الحيوان مركبة من هذه الأربعة الأجسام أننا نحس جسم الحيوان إذا هلك انحل إلى هذه الأربعة ، وما[٧] ينحل إلى شيء فهو مركب منه

---

(١) نهاية اللوحة (٦ /ب).
(٢) ب–الماء ،والنار، والهواء .
(٣) نهاية اللوحة (٧/ أ).
(٤) ب– يتولد.
(٥) ما بين المعقوفتين سقطت من ب .
(٦) ب– الماء، والنار، والهواء.
(٧) ب– والذي .

.وهذه الأربعة ليست توجد تنحل (٧/ب) إلى شيء ، فأما الحيوان إذا مات انحلت الأجزاء اليابسة التي فيه إلى الأرض ، والرطبة إلى الماء ، والحارة إلى النار والهواء ، فذلك شيء معلوم بالحس ، عند من تعمد[١] إحساسه.

وقد يظهر أنه مركب من هذه الأربعة من أن له جسدا ذا قوام ، وكل ماله جسد ذو قوام فهو مركب من تراب وماء ، وإنما يتجسد التراب والماء ، إذا عجن التراب بالماء ، ثم طبخ بالنار ، حتى يرجع هذا الجسد ، كالحال في الفخار الذي يعمل ، وإذا كان ذلك كذلك فقد وجدت فيه الأسطقسات الأربعة ، وهذا معنى قوله تعالى : (خلق الإنسان من صلصال كالفخار) ، وأدلة هذا مستوفاة في العلم الطبيعي ، وليس يقد الطبيب بما هو طبيب أن[٢] يبين هذا بيانا برهانيا ، وإنما يتسلمه من صاحب العلم الطبيعي ، وأن يبينه هو بقول جدلي ، كالحال في القول الذي ثبت هاهنا ،وفي كتاب الأسطقسات (٨ /أ) [٣] [جالينوس] [٤] .

الخاتمة

ان علم الطب في الاندلس نال حظه من الاهتمام والرعاية ضمن مجموع الحركة العلمية، حيث :

– اهتم به خلفاء بني امية وكذلك امراء المرابطين والموحدين من بعدهم اشد الاهتمام، فقربوا اليهم الاطباء وخصوا البعض منهم مغدقين عليهم العطاء،ومشجعينهم على ان يهيئوا لهم الظروف المناسبة .

– شجعوا الاطباء على التأليف في الطب، فضلا عن ذلك فأن هؤلاء الامراء كانوا يجالسون الاطباء في دورهم الخاصة مشجعينهم على اقامة مجالس علمية ، تناقش خلالها المسائل الطبية،فكانت هذه المجالس العلمية حافزا مشجعا على البحث في علم الطب.

– لم يكتفي الامراء بهذا الحد بل اعتنوا بالمؤسسات التعلمية والتي كان يدرس فيها الطب ومن اهمها المساجد ومن ثم ضاقت بعدد الطلبة فأستدعى الامر الى انشاء المدارس وجعل التعليم فيها اجباريا .

---

(١) ب– يعتبر .
(٢) ب– إنما .
(٣) نهاية اللوحة (٨/أ).
(٤) ما بين المعقوفتين سقطت من النسخة ب .

– اهتم الامراء ايضا بانشاء البيمارستانات لتكون مركز لتلقي التعلم ومعالجة المرضـــى. ومن الاسباب الاخرى التي اسهمت في بروز الطب هي تطور حركة الترجمة للعديد من الكتب التي استفاد منها الاطباء الاندليسيون

المصادر والمراجع:

١ــ آل ياسين، جعفر، **فيلسوف عالم** دراسة تحليلية لحياة ابن سينا وفكره الفلسفي، ط١ (بيروت: دار الأندلس، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ص٢٤-٢٦.

٢ــ القفطي (ت ٦٤٦هـ)، علي بن يوسف، **أخبار العلماء بأخبار الحكماء** (القاهرة: مكتبة المتنبي، [د.ت])، ص٢٦٨-٢٧٨؛

٢ــ ابن خلكان (ت ٦٨١هـ)، أحمد بن محمد، **وفيات الأعيان** وأنباء أبناء الزمان (بيروت: دار صادر، [د.ت])، ج٢، ص١٥٧-١٦١.

٣ــ الزركلي (ت١٣٩٦هـ)، خير الدين، **الأعلام**، ط١٥ (بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م)، ج٢، ص٢٤١-٢٤٢.

٤ــ قنواتي، الأب جورج شحاته، **مؤلفات ابن سينا**، جامعة الدول العربية- الإدارة الثقافية (القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٠م)، ص ١٩- ٧٩؛

٥ــ كحالة، عمر رضا، **معجم المؤلفين** تراجم مصنفي الكتب العربية (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م)، ج١، ص٦١٨-٦٢٠.

٧ــ وذكر ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) أن ابن سينا توفي بأصبهان، وهذا خلاف المشهور.

٨ــ **الكامل في التاريخ**، تحقيق : عبد الله القاضي، ط٢(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ)، ج٨، ص٢٢٥.

٩ــ الشهرزوري (توفي أواخر القرن السابع الهجري)، شمس الدين، **تاريخ الحكماء** "نزهة الأرواح وروضة الأفراح"، تحقيق: عبد الكريم أبو شويرب ([د.م]: جمعية الدعوة الإسلامية الالمية، [د.ت])، ص٣٧٤-٣٧٥؛ وقد شذ ابن أبي أصيبعة فذكر أن عمره ثلاث وخمسون حين وافته المنية، فجعل تاريخ ميلاده /٣٧٥هـ/.

١٠ــ **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** (بيروت: دار مكتبة الحياة، [د.ت])، ج١، ص٤٤٥.